السيرة النبويّة

الهجرة المباركة

إعداد ورسوم:
ماهر عبد القادر

الْعَامِ الْـحَادِي فِي عَشَرَ مِنْ الْبَعْثَةِ خَرَجَ النَّبِيُّ إِلَى عَقَبَةِ مِنَى فَوَجَدَ سِتَّةَ رِجَالٍ مِنْ الْـخَزْرَجِ فَدَعَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا.. وَفِي الْعَامِ التَّالِي جَاءَ وَفْدٌ مِنْ يَثْرِبَ عَدَدُهُمْ اثْنَي عَشَرَ رَجُلًا بَايَعُوا النَّبِيَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بِنَ عُمَيْرٍ لِيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ، فَكَانَ أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ..

وَفِي الْعَامِ التَّالِي جَاءَ فِي مَوْسِمِ الْـحَجِّ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ.. وَخَرَجَ لَـهُمْ النَّبِيُّ لَيْلًا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ - رَغْمَ شِرْكِهِ - خَوْفًا عَلَيْهِ.. فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى نُصْرَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ.. فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

اجْتَمَعَ زُعَمَاءُ الْـمُشْرِكِينَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَمْنَعُوا النَّبِيَّ ﷺ مِنْ الْهِجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ .. فَاقْتَرَحَ أَحَدُهُمْ سَجْنَهُ، وَقَالَ آخَرُ: نُخْرِجُهُ وَنَنْفِيهِ، بَيْنَمَا اقْتَرَحَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَارِسًا وَيُعْطُوا لَهُ سَيْفًا مَسْمُومًا.. وَيَنْتَظِرُوا أَمَامَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَ لِلصَّلَاةِ فَجْرًا ضَرَبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ

فَيَقْتُلُوهُ وَيَتَفَرَّقَ دَمُهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ فَيَدْفَعُوا الدِّيَةَ لِبَنِي هَاشِمٍ.. وَبِذَلِكَ نَقْضِي عَلَى الدِّينِ الْـجَدِيدِ وَسَيَهْرُبُ كُلُّ أَتْبَاعِهِ أَوْ يُقْتَلُوا..

أَجْمَعَ شَيَاطِينُ الْكُفْرِ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ.. وَبَدَؤُوا بِتَنْفِيذِ خُطَّتِهِمْ..

ذَهَبَ النَّبِيُّ لِأَبِي بَكْرٍ لِيَسْتَعِدَّ لِصُحْبَتِهِ فِي الرِّحْلَةِ الْـمُبَارَكَةِ. وَطَلَبَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ لِيَخْدَعَ الْـمُشْرِكِينَ فَيَظُنُّوا أَنَّ النَّبِيَّ مَا زَالَ نَائِمًا .. وَلِيُعِيدَ وَدَائِعَ الْـمُشْرِكِينَ الَّتِي فِي حَوْذَةِ النَّبِيِّ لِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ!!

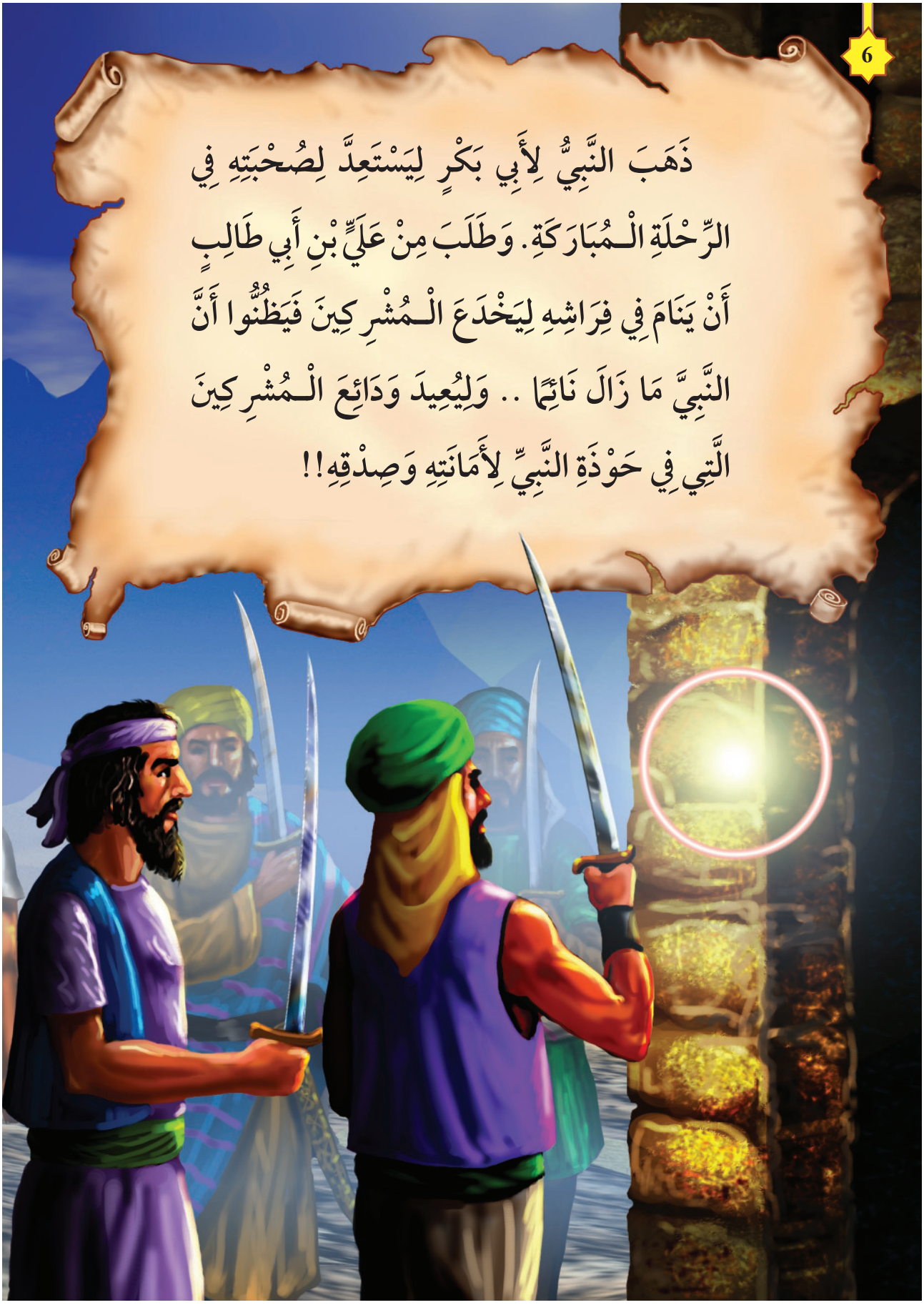

خَرَجَ النَّبِيُّ قُبَيْلَ الصُّبْحِ وَقَرَأَ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس: 9].

وَأَمْسَكَ حَفْنَةً مِنَ التُّرَابِ أَلْقَاهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ قَائِلًا: شَاهَتْ الْوُجُوهُ.

وَمَرَّ بِسَلَامٍ وَقَدْ أَخَذَ اللهُ أَبْصَارَ الْفُرْسَانِ فَلَمْ يَرَوْهُ!!

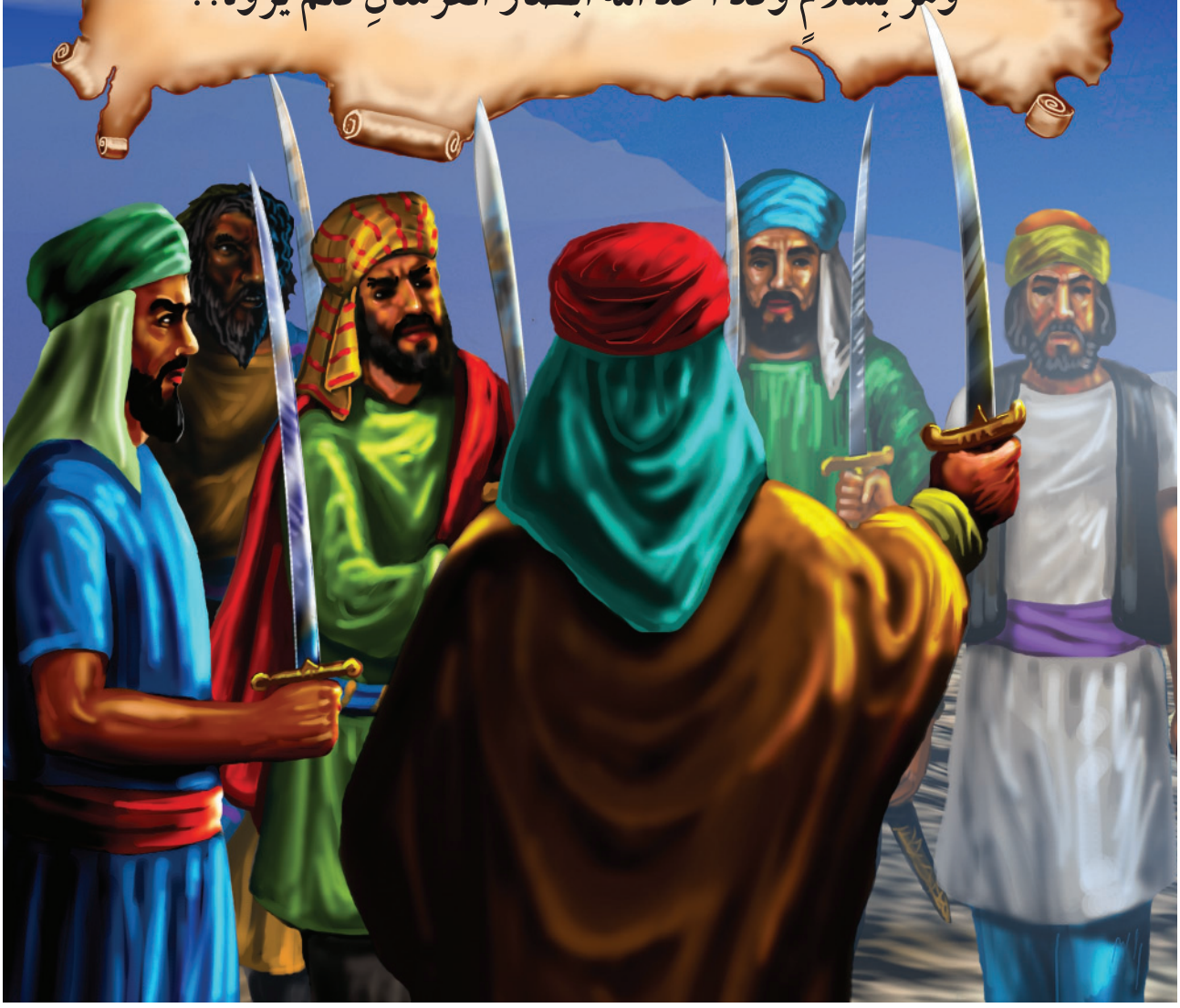

مَرَّ رَجُلٌ عَلَى الْفِرْسَانِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ شَاهَدَ مُحَمَّدًا ﷺ يَخْرُجُ مَعَ صَاحِبِهِ..

فَدَخَلُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى عَلِيٍّ -أَوَّلُ فَدِائِيٍّ فِي الْإِسْلَامِ- وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِشَيْءٍ رَغْمَ قَسْوَتِهِمْ عَلَيْهِ.. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ أَعَدَّ رَاحِلَتَيْنِ..

وَوَصَّى رَاعِيَ غَنَمِهِ أَنْ يَرْعَى بِالْقُرْبِ مِنْ الْغَارِ الَّذِي اخْتَبَأَ فِيهِ حَتَّى يُزِيلَ آثَارَهُمَا وَآثَارَ ابْنِهِ الَّذِي يَأْتِي لَـهُمَا بِالْأَخْبَارِ وَالطَّعَامِ الَّذِي تُعِدُّهُ لَـهُمَا أَسْمَاءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، وَقَدْ اخْتَارَ النَّبِيُّ غَارَ ثَوْرٍ جَنُوبًا حَتَّى يُضَلِّلَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَتَعَقَّبُوهُ شَمَالًا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ.

رَغْمَ سِرِّيَّةِ خُطَّةِ الْهِجْرَةِ وَصَلَ الْكُفَّارُ غَارَ ثَوْرٍ!

وَلَكِنَّ اللهَ أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ عَنْ النَّبِيِّ وَصَاحِبِهِ الَّذِي بَكَى خَوْفًا عَلَى رَسُولِ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذَا: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40].

وَهَكَذَا أَنْقَذَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِمُعْجِزَةٍ وَخَرَجَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ..

11

اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْفُرْسَانِ وَهُوَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ أَنْ يَتْبَعَهُمَا، لَكِنَّ جَوَادَهُ غَرَسَ فِي الرِّمَالِ.. الْـمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ فَاسْتَنْجَدَ بِرَسُولِ اللهِ أَنْ يُنْقِذَهُ وَسَوْفَ يُضَلِّلُ كُلَّ مُتَعَقِّبٍ لَـهُمَا.. فَأَنْقَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَوَعَدَهُ بِأَسَاوِرَ كِسْرَى إِنْ صَدَقَ..

(وَقَدْ أَعْطَاهَا لَهُ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ حِينَ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مُلْكَ كِسْرَى).

أَكْمَلَ الرَّسُولُ وَصَاحِبُهُ رِحْلَةَ الْهِجْرَةِ وَفِي الطَّرِيقِ شَعَرَا بِالْعَطَشِ فَاقْتَرَبَا مِنْ خَيْمَةٍ بَدَوِيَّةٍ تُدْعَى أُمَّ مَعْبَدٍ وَزَوْجُهَا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا سِوَى شَاةٍ عَجْفَاءَ، فَلَمَّا وَضَعَ النَّبِيُّ يَدَهُ عَلَيْهَا صَلُحَتْ وَحَلَبَ اللَّبَنَ مِنْهَا فَشَرِبَ هُوَ وَصَاحِبُهُ وَكُلُّ مَنْ فِي الْخَيْمَةِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ وَتَرَكَ لَهُمَا الْإِنَاءَ مَمْلُوءًا..

وَصَلَ النَّبِيُّ إِلَى مَشَارِفِ المَدِينَةِ فَصَلَّى عِنْدَ قُبَاءَ وَبَنَى أَوَّلَ مَسْجِدٍ فِي الْإِسْلَامِ.. ثُمَّ دَخَلَ المَدِينَةَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.. وَشَاهَدَهُ أَحَدُ الْيَهُودِ مِنْ أَعْلَى حِصْنٍ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَأَخْبَرَ أَهْلَ المَدِينَةِ قَائِلًا:

يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ.. هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ..

فَكَبَّرُوا وَخَرَجُوا لِاسْتِقْبَالِهِ يُنْشِدُونَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لله دَاعٍ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ

أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ (الْأَنْصَارِ) أَنْ يَأْخُذَ نَاقَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى دَارِهِ.. فَقَالَ لَهُمْ: خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ. فَسَارَتْ بِهِ حَتَّى وَصَلَتْ مَوْضِعَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فَلَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا حَتَّى نَهَضَتْ وَسَارَ قَلِيلًا ثُمَّ عَادَتْ لِنَفْسِ الْـمَوْضِعِ..

وَكَانَتْ الْأَرْضُ لِيَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِهِ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُمَا لِيُقَامَ عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ..